القيم الاجتماعية بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي

د/ صونية حداد
أستاذ محاضر قسم -أ-،
كلية العلوم الاجتماعية الإنسانية،
جامعة العربي التبسي تبسة-
haddadsocio58@yahoo.fr

الملخص:

يعتبر موضوع القيم مجالا خصبا للدراسات في العديد من التخصصات، إذ لا يكاد يتفق الباحثون حول مفهومها والذي يتم تحديده انطلاقا من المصدر المستقى منه، بالإضافة إلى أن هناك من الباحثين من يعرض عن دراستها، لا سيما في البحوث السوسيولوجية، لاعتقاده أنها تقع خارج إطار البحوث الإمبريقية، وأنه لا يمكن خضوعها للموضوعية، في حين يذهب بعض الباحثين والمفكرين الإسلاميين إلى ربطها بالدين الإسلامي، وهي ما يصطلح عليه بالقيم الإسلامية والتي مصدرها الوحيد هو القرآن الكريم والسنة الشريفة، وأنها بمثابة ظاهرة دينية يتم تناولها بالدراسة في البحث السوسيولوجي كباقي الظواهر الاجتماعية الأخرى.

الكلمات المفتاحية: القيم، الفكر، الثقافة.

Social values between Islamic thought and Western thought

Summary:

The subject of values is a fertile field for studies in many disciplines, as researchers hardly agree on its concept, which is determined from the source derived from it, in addition to that there are researchers who are exposed to study, especially in sociological research, believing that they fall outside the framework of research And some scholars and Islamic thinkers go to link them to the Islamic religion, which is called the Islamic values, whose only source is the Holy Quran and the Sunnah. It is a religious phenomenon that is studied in sociological research, as is the case with other Islamic scholars. For other social phenomena.

Keywords: values, thought, culture.

توطئة:

إن للقيم دورا أساسيا في التنمية الاجتماعية والاقتصادية، فهي تمس العلاقات الإنسانية بكافة صورها، وتتغلغل في الأفراد على شكل اتجاهات ودوافع وتطلعات، ثم تبرز

في سلوكهم الظاهري، وما تنوع واختلاف آراء الدارسين له إلا دليل على ما يتسم به المفهوم من عمق معرفي وثقافي وايديولوجي.

لذا ارتأينا في ورقتنا البحثية هذه إلى محاولة تسليط الضوء على مفهوم ومصدر القيم من منطلق تخصصات متنوعة تعكس في محتواها الفكرين الغربي والإسلامي، وصولا إلى جهود المفكرين والباحثين السوسيولوجيين الإسلاميين في التمهيد لبلورة وصياغة نظرية للقيم الإسلامية.

I. مفهوم القيم في ضوء دراسات متنوعة:

01. القيم في ضوء الدراسات الفلسفية:

غالبا ما يقسم الفلاسفة لا سيما الغربيين منهم، العلوم الفلسفية التي تبحث فيها الفلسفة إلى ثلاث مباحث رئيسية وهي:[1]

أولا: مبحث الوجود.

ثانيا: مبحث المعرفة أو نظرية المعرفة.

ثالثا: مبحث القيم.

وبناء على هذا التقسيم فإن مبحث القيم يشكل أحد المباحث الأساسية التي يهتم بدراستها الفلاسفة قديما وحديثا، وهي محورا لخلافات كثيرة بين المدارس والمذاهب الفلسفية المتعددة، إلى درجة التناقض في الآراء حول المفهوم، وفي هذا الشأن يقول **جون ديوي**: "إن الآراء حول موضوع القيم تتفاوت بين الاعتقاد من ناحية بأن ما يسمى (قيما) ليس في الواقع سوى إشارات انفعالية أو تعبيرات صوتية وبين الاعتقاد في الطرف المقابل بأن المعايير القبلية...ضرورية ويقوم على أساسها كل من الفن والعلم والأخلاق."[2]

كما يذهب أولئك الفلاسفة إلى تقسيم مبحث القيم إلى ثلاث مباحث فرعية متمثلة في فلسفة الأخلاق، فلسفة المنطق وفلسفة الجمال، على اعتبار أنها علوما معيارية، بمعنى أنهم يدرسون ما ينبغي أن يكون، وهي ليست علوما وضعية تسعى لدراسة ما هو كائن، حيث يشمل مبحث فلسفة الأخلاق دراسة القيم الأخلاقية بصفة أكبر لديهم.

والقيم عند هؤلاء الفلاسفة تضم ثلاثة أنواع رئيسية وهي الحق والخير والجمال، وفي المقابل توجد ثلاثة أوجه تحلل من خلالها حياة الأشخاص الواعية، وهي الإدراك والسلوك والوجدان، غير أن ما تتضارب حوله آراء هؤلاء الفلاسفة، هو إن كانت هذه القيم تحدد بمعزل عن خبرة الإنسان، أم أنها تعبر عن قيمة الأشياء تبعا لتجربته في الحياة. أما الفئة

الأولى وهي ما يطلق عليها بأصحاب اتجاه الفلسفات المثالية أو العقلية، بينما الفئة الثانية وهي أصحاب اتجاه الفلسفات الطبيعية:

إن أصحاب الاتجاه الفلسفي الأول (المثالي العقلي) يحددون مصدر القيم بأنه عالم مثالي عاش فيه الأفراد قبل أن يأتوا إلى هذا العالم، أو يحددون العقل فيما يعد المصدر الوحيد للقيم، بينما يرى أصحاب الاتجاه الثاني (الفلسفة الطبيعية) أن الأشياء لا تمثل خيرا أو شرا، حقا أو باطلا في حد ذاتها، ولكن هذه أحكام نحن من يصدرها من خلال تأثرنا بها وتفاعلنا معها.

ومما سبق يمكن استخلاص أن مفهوم القيم وفق المنظور الفلسفي هو قضية معيارية، وليست قضية وجودية فحسب، وهو ينطوي على عدد من المفاهيم الأخرى كالدافع والرغبة والاتجاه...ويضاف عليها الجانب المعياري.

02. القيم في ضوء الدراسات النفسية والتربوية:

يعتبر موضوع القيم من أهم الموضوعات التي تهتم بدراستها البحوث النفسية والتربوية، لا سيما في تخصص علم النفس التربوي وعلم النفس الاجتماعي وعلم النفس الاكلينيكي، وكذلك اهتم بدراسته المختصين في ميدان التوجيه والإرشاد النفسي.

لم يهتم المختصون في علم النفس والتربية بمجال القيم إلا في السنوات الأخيرة، أين شعروا بالحاجة الماسة إليه، حيث وضعوا لها تعريفات عديدة، "بعضها يؤكد الناحية الشعورية، وبعضها يؤكد الناحية الوجدانية، وبعضها يؤكد الناحية العملية، إلا أنها جميعا تؤكد أن القيم أحكام يصدرها الفرد على العالم الانساني والاجتماعي والمادي الذي يحيط به."[3]

ومن بين التعريفات الواردة في المجال النفسي التربوي حول القيم، تعريف الدكتور **لطفي بركات أحمد** فيرى بأنها: "مجموعة من القوانين والمقاييس تنبثق من جماعة ما وتتخذها معايير للحكم على الأعمال والتصرفات ويكون لها من القوة والتأثير على الجماعة بحيث يصبح لها صفة الإلزام والضرورة والعمومية وأي خروج عليها أو انحراف على اتجاهاتها يصبح خروجا عن مبادئ الجماعة وأهدافها ومثلها العليا،"[4] إن القيم وفق هذا التعريف، هي عبارة عن أحكام قيمية مصدرها الجماعة، تكتسي صفتي الإلزام والعمومية، وهي بمثابة مبادئ وغايات في الوقت نفسه.

كما يذهب بعض الباحثين في هذا المجال إلى أن الأفراد لا يتوزعون على أنماط متعددة من القيم، وإنما توجد كل أنماط القيم في الفرد الواحد ولكنها متفاوتة من حيث الأهمية والعمل بها من فرد لآخر، أمثال العالم النفسي الألماني **سبرانجر** الذي توصل في دراسته للتاريخ وسلوك الناس في حياتهم اليومية، إلى وجود ستة أنماط من القيم والمتمثلة في: النمط النظري، النمط الاقتصادي، النمط الجمالي، النمط الاجتماعي، النمط السياسي والنمط الديني.

أما من ناحية ثبات وتغير القيم، فيرى أولئك الباحثون التربويون اتجاهات مختلفة، والتي يمكن تصنيفها في اتجاهين رئيسيين هما:[5]

أ. اتجاه يرى أن القيم موضوعية وثابتة وعامة مطلقة يشترك فيها الأفراد عامة في كل زمان ومكان، وأنها لا تتغير ولا تتعدل باختلاف الناس والأحوال والأزمات ويوصف هؤلاء عند الباحثين التربويين باسم الكلاسيكيين.

ب. اتجاه يرى أن القيم سببية متغيرة بتغير المجتمع وما يطرأ عليه من تعديل في الاتجاهات والعادات وأنماط السلوك.

إلا أن درجة تغير القيم تختلف، فهناك من القيم ما يعمم في المجتمع كله، في حين تقتصر بعض القيم على فئات معينة منه، إذ تتمسك بها أكثر من باقي الفئات الأخرى فيه، كما أن هناك من القيم ما يقاوم التغير رغم عوامل التطور الكبيرة في المجتمع، ومنها ما يسهل تغييره نسبيا عندما تقتضي ظروف الحياة ذلك.

ويؤكد أيضا بعض الباحثون التربويون أن القيم من أكثر السمات الشخصية عرضة للتأثر بالثقافة السائدة في ذلك المجتمع، والدليل على ذلك الاختلاف الشديد في الرؤية الفكرية للأفراد الذين يعيشون في مجتمعات مختلفة، ولذلك يذهب هؤلاء الباحثين إلى اعتبار الثقافة هي مصدر أساسي للقيم، وأن التاريخ هو الذي يحكم تلك الثقافة باعتباره ناقلها عبر الأجيال.

ومن ناحية أخرى يرى الباحثون التربويون أن دور التنشئة الدينية المبكرة، إنما هي بمثابة وقاية وصحة نفسية للأفراد، بسبب تكوينها لمنظومة من القيم والمعايير الأخلاقية لديهم، الأمر الذي يقودهم إلى إتباع السلوكات المرغوبة بصفة تلقائية.

03. القيم في ضوء الدراسات الاجتماعية:

اهتم علماء الاجتماع بشكل واسع بموضوع القيم على مستوى الفرد والجماعة والمجتمعات، باعتبارها ذات أثر كبير على سلوك الأفراد من كل الجوانب، كما أنها تحتل مكانة جوهرية في الحياة الاجتماعية المتعلقة بكافة ميادين النشاط البشري.

ورغم أهمية موضوع القيم لدى علماء الاجتماع، إلا أنه ظل بعيدا عن اهتمامهم لفترة طويلة، والسبب في ذلك يعود إلى اهتمام الفلسفة العقلية به، حيث يشكل عنصرا أساسيا في النسيج الفكري المجرد، وهو الأمر على حد قول أحد الباحثين وهو الباحث **جاندي**: "كان علماء الاجتماع حتى عهد قريب يعتقدون أن دراسة موضوع القيم من شأن الفلاسفة وحدهم، ولذلك لم يعيروها أي اهتمام وتركوها للفلاسفة"[6]، ولذلك لم يلق موضوع القيم اهتماما كبيرا لدى علماء الاجتماع إلا في السنوات الأخيرة، حيث يعد كل من "**توماس وزنانيكي** أول من استخدم هذا المصطلح في كتابهما (الفلاح البولندي في أوربا وأمريك.ا)"[7]

ثم توالت بعد ذلك الدراسات الاجتماعية، وأعطت هذا المصطلح اهتماما كبيرا خاصة في ترابط العلوم الاجتماعية، وشكلت ما يعرف بعلوم القيمة والتي تشمل كل من علم الأخلاق، علم الجمال، علم الاقتصاد، علم السياسة، الانثروبولوجيا، علم الاجتماع ونظرية المعرفة.

ولعل أهم الأسباب التي أدت إلى تطور علم اجتماع القيمة في نهاية القرن التاسع عشر هو سبب عملي، وهو الرغبة في تحسين الأوضاع الاجتماعية، فعلماء الاجتماع ذو النزعة الأخلاقية، كانوا مهتمين أساسا بفهم الحقائق عن المجتمع من أجل إرشاد وتوجيه الناس دينيا وأخلاقيا ومساعدتهم في جعل هذا العالم مكانا أفضل للحياة.[8]

وعموما اختلفت تعاريف الباحثين الاجتماعيين حول موضوع القيم، وقبل التطرق إلى أوجه الاختلاف، نشير إلى نقطة التقائهم، والمتمثلة أن القيم عنصرا أساسيا من عناصر البناء الاجتماعي وتشتق أساسا من التفاعل الاجتماعي، أما عن أوجه الاختلاف فإن هناك من العلماء الاجتماعيين من يعتبرها خيرا أو شرا أمثال **مور** *MOORE* **ولامونت** *LAMONT* وبير الذي يقول (القيمة بأوسع معانيها هي أي شيء، خيرا أو شرا،[9] إذ يذهب إلى الاكتفاء بكلمة الخير والشر دون تقديم شرح لهما.

في حين هناك من العلماء من يفسر القيم على أنها مفهوم تجريدي، أمثال **كلاكهون** الذي يقول أن القيمة "مفهوم تجريدي ظاهر أو ضمني يميز الفرد أو الجماعة والمرغوب فيه

الذي يؤثر على اختياراتنا من عدة بدائل لطرق ووسائل وأهداف السلوك،"[10] إذ تشير كلمة المرغوب هنا إلى ما يخضع إلى معايير الجماعة بعيدا عن الميولات والرغبات الشخصية.

بينما هناك من العلماء من يصر على تعريف القيم بالسرور، كما أن بعضهم أمثال **بيري** *PERRY* يؤكد أن القيمة هي الاهتمام *INTEREST* أي الاهتمام بأي شيء، فمن رأي **بيرى** أنه إذا كان أي شيء (أيا كان) موضوع اهتمام، فإنه حتما يكتسب قيمة، أما **ثورنديك** *THORNDIKE* فيرى أن القيمة تفضيلات (*PREFERENCES*)، وأن القيم الإيجابية منها والسلبية، تكمن في اللذة أو الألم الذي يشعر به الإنسان.[11]

فحسب وجهات نظر العلماء -السالفة الذكر-، تعد القيم سلوك طبيعي للأفراد حيال الأشياء، فلا يمكن أن يستوي الجمال والقبح، ولا الفضيلة ولا الرذيلة، ولا الطيبة والخبث، ولا بد أن يصدر الإنسان حكما حيال ذلك، فعلى حد قول **كلايدكهون**، الإنسان حيوان مقوم، فالإنسان يقيم طوال الوقت وباستمرار بين عدة بدائل.

كما يعرفها **روكيتش** *ROKEATCH* بأنها "معتقد أو اعتقاد يحظى بالدوام ويعبر عن تفضيل شخصي أو اجتماعي لغاية من الغايات للوجود بدلا من نمط سلوكي أو غاية أخرى مختلفة."[12]

وفي معنى آخر للقيم، يرى بعض الكتاب أمثال **كنترول** *CANTRIL* أنها تعني الاتجاهات، ويرى "**ستاجنر** *STAGNER* أنها: تقويمات لاتجاهات متقاربة، أما **سارجنت** *SARGENT* فيرى أن الاتجاهات تدل على ميل سلوكي يتميز بشعور سار أو مؤلم في حين أن القيم تمثل الأمور التي تتجه نحوها رغباتنا واتجاهاتنا."[13]

والواقع أن الاتجاه والقيمة وجهان لعملة واحدة، باعتبار أن الاتجاه نحو الشيء هو الإقبال عليه والرضا به، وهذا يشير إلى القيمة التي أضيفت عليه، والعكس، إذا كان الاتجاه هو النفور والإعراض فهذا ناجم عن القيمة السلبية.

وتتسم القيم حسب علماء الاجتماع بجملة من الخصائص أهمها:[14]

- ✓ إنها ذاتية وشخصية يحسها كل فرد على نحو خاص به،
- ✓ إنها غير خاضعة للقياس،
- ✓ إنها إنسانية شخصية تتوقف على الاعتقاد،
- ✓ إنها بناء على ذلك نسبية،

- ✓ إن هناك سلما لهذه القيم بحيث ترتب فيما بينها ترتيبا هرميا،
- ✓ إن القيم تتضمن الوعي أو الشعور بمظاهره الثلاثة الإدراكي والوجداني والنزوعي.

وهناك من الباحثين من صنفها على أساس أبعادها، بحيث يمكن استعراض القيم من حيث "بعد المحتوى، بعد المقصد، بعد الشدة، بعد العمومية، بعد الوضوح، بعد الدوام،"[15] أما عن المصدر الذي تستقى منه قيم الإنسان، فيتفق الباحثون على أن المجتمع هو مصدر القيم، لذلك فهي تكتسي صفة الإنسانية والاجتماعية، فهي بمثابة سلوك إنساني اجتماعي، لا يخلو من التأثير والتأثر بأنواع العلاقات والمواقف الخلقية.

II. مفهوم القيم الإسلامية:

بداية نشير إلى أن مصطلح (القيم الإسلامية) استخدم حديثا في الدراسات التربوية، ولم يستخدم في التراث التربوي الإسلامي، ولم يسجل في قاموس المصطلحات التربوية، ولقد تباينت تعريفات الباحثين في تحديد إطار القيم الإسلامية ما بين مضيق لها لتعني بذلك (الأخلاق الإسلامية)، وبين موسع للمفهوم ليشير إلى مفهوم (الإسلام) ذاته.

ويمكن توضيح مفهوم القيم الإسلامية من خلال بعض التعاريف، والتي تتجلى في:[16]

- القيم الإسلامية هي عبارة عن مكون نفسي معرفي عقلي ووجداني أدائي يوجه السلوك ويدفعه ولكنه إلهي المصدر ويهدف إلى إرضاء الله تعالى،
- القيم الإسلامية هي حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتديا بمجموعة من المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع محددا المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك،
- مجموعة من المثل العليا والغايات والمعتقدات والتشريعات والوسائل والضوابط والمعايير لسلوك الفرد والجماعة مصدرها الله عزّ وجلّ، وهذه القيم هي التي تحدد علاقة الإنسان وتوجهه إجمالا وتفصيلا مع الله تعالى، ومع نفسه ومع البشر ومع الكون وتتضمن هذه القيم غايات ووسائل.

أما بالنسبة لدراسات بعض المفكرين المسلمين التي تناولت موضوع القيم الإسلامية، فإنها في مجموعها نوعان:[17]

أ. **القيم السلبية**: أو قيم التخلي، وتتجلى في هجر ما ينهى الله عنه من شرور وموبقات كشرب الخمر والزنى والكذب والسرقة...الخ

ب. **القيم الإيجابية**: وهي القيم التي كلف المسلم بالتحلي بها وأخذ نفسه بمقتضياتها، مثل: الصدق والأمانة وصلة الرحم والكرم وحسن الجوار.

إن القيم الإسلامية تستمد من التعاليم الدين الاسلامي وتقوم على الثقافة الإسلامية، على خلاف المنظومات القيمية الأخرى التي لا تجعل للدين أي اعتبار في تشكيلها، في حين تقر الثقافة الإسلامية أن القيم مرتبطة بالعقيدة والشريعة، وأن المنظومة القيمية محددة في الكتاب والسنة، فما وافقه هدي الإسلام فهو مقبول، وما خالفه فهو مردود.

III. القيم بين الفكر الاسلامي والفكر الغربي:

لقد أولى علماء الإسلام عناية واضحة بالقيم، خاصة القيم الخلقية المتعلقة بتهذيب النفس والسمو بالروح، وثمة فروق كبيرة بين مفهوم القيم في الدراسات النفسية والتربوية والفلسفية والاجتماعية الغربية وبين الدراسات الإسلامية.

ولقد ارتبط تصور هؤلاء العلماء والمفكرين للقيم بنظرة الإسلام الشاملة للعلم والإيمان والمعرفة وأثرها في تنشئة الإسلام للأفراد وتربيتهم، وتجلى هذا التصور في أبدع صوره في "علم السلوك" الذي وظف علماء الإسلام، وبخاصة **الإمام الغزالي** في إحياء علوم الدين، جزءا كبيرا من جهودهم للكشف عن خصائصه وسماته، وانبثقت فكرة السلوك عندهم من حقيقة مؤداها أن أحكام الشرع هي المعيار الصحيح الذي يتوجب أن يتحدد في ضوئه السلوك السوي، والذي يقاس بمدى الالتزام بالحدود الشرعية والوصايا الربانية الشاملة التي أمر الله عز وجل بها.[18]

إن هذا التصور الذي يستمد من المنهج التربوي الإسلامي، والذي تبنى على أساسه نظرية القيم لدى العلماء المسلمين، يختلف اختلافا جوهريا عن باقي المدارس الوضعية التي تذهب إلى إلغاء دور الدين في تحديد وفهم القيم وفلسفتها.

بينما من خلال الدراسات الفلسفية و النفسية التربوية والاجتماعية -السالفة الذكر- تتجلى فيها بوضوح صورة الصراع في الفكر الأوربي بين العقل والدين والحس، وأيها يعتبر المصدر الوحيد للمعرفة، حيث أن "الفلسفات والمدارس الوضعية تجعل للقيم مصادر متنوعة متمثلة في الأحكام العقلية والأنماط الاجتماعية التي تقوم على ما تعارف عليه أفراد المجتمع من أحكام قيمية، ولكنها تخطأ عندما تعمل على تهميش دور الدين وتعاليمه في تكوين القيم وتحديدها، في حين يتخذ المنهج التربوي الإسلامي طريقا مغايرا، إذ يقر المصادر السابقة، ولكنه في الوقت ذاته يؤصل مرجعية عليا تحكم القيم هي مرجعية الشرع."[19]

لقد ظل التفكير الأوربي منذ القرن السابع عشر ميلادي وإلى غاية الحاضر، يشهد صراعا فكريا، واتجاهات فكرية مختلفة، تسعى في مجملها إلى محاولة إيجاد مصدر المعرفة البشرية منذ فجر التاريخ والمتمثلة في الدين والعقل والحس أو الواقع، وفي كل مرحلة تطرح الأسئلة، أي من هذه الثلاثة يعد مصدرا للقيم؟، وأثناء محاولات الإجابة عليه تنشأ المذاهب الفلسفية التي تجمع على المصدر ذاته.

ومن هذا المنطلق تشكلت الأفكار الواردة في الدراسات المتنوعة في الفكر الغربي، وهي رؤية فكرية نابعة من تلك الفلسفة الوضعية المستندة للمنطق والتي تجعل من الطبيعة المصدر الوحيد للمعرفة، لذلك تجمع تلك الدراسات على أن القيم هي نتاج لخبرات المجتمع وأفراده، وأنها جاءت نتيجة لعملية انتقاء جماعية أثناء عمليات التفاعل بين أفراد المجتمع، وبين أفراده والبيئة المحيطة بهم، بغرض تنظيم العلاقات بينهم.

ورغم أن هناك عددا من المفكرين والباحثين المسلمين ساروا خلف هذا الركب الغربي، حيث انطلقوا من منطلق الفكر الغربي في نظرتهم للإنسان والكون والحياة وفي تفسيرهم للقيم ومصدرها، وهو الأمر الذي يتضح من خلال بعض الدراسات الفلسفية والنفسية والتربوية والاجتماعية لباحثين مسلمين، في حين تتحدد منظومة القيم ومنهج التعامل معها لدى معظم المفكرين المسلمين في إطار مرجعية الشريعة الإسلامية وفي ضوء القرآن الكريم والسنة الشريفة.

إن القضية القيمية كانت ولا تزال في بؤرة اهتمام علماء الإسلام ومفكريه، وذلك انطلاقا من الاهتمام بمصادر الشريعة الإسلامية، حيث يعد "الإسلام مصدر القيم والمثل العليا ورسالته رسالة القيم الإنسانية التي تتسم بالربانية والشمول والثبات والتوازن والعالمية، وتعاليم الإسلام ما جاءت إلا لتكون الإنسان الذي يتمثل القيم العليا قيم التوحيد، والعمل الصالح والخير والعدالة..."[20]

IV. نحو نظرية قيم إسلامية:

إن ما يقتضيه الأمر لفهم موضوع القيم الإسلامية، هو نظرية موحدة، ولذا نجد علماء المسلمين الاجتماعيين قد سبقوا علماء الاجتماع المحدثين في هذا المضمار، حيث درسوا ثلاث جوانب من القيمة وهي الجانب الميتافيزيقي والجانب السوسيو-أخلاقي وجانب الفعل، "وفي معالجتهم المكانة الميتافيزيقية للقيمة لم يناقشوا نسق ما ينبغي أن يكون ولكنهم قدموا نسقا (إلاهيا- قيميا –انسانيا)، واعتبر المفكرون المسلمون أن (الله المطلق) هو قيمة الإنسان

العليا، وأساس لكل الأنساق القيمية الأخرى، ولهذا فإن الأساس الميتافيزيقي لكل القيم يمكن مناقشته على أنه صفات الله، فتلك الصفات هي القيم المثالية للإنسان والتوحيد هو القاعدة القيمية للمكانة المتسامية لنسق القيمة المتسامي، ونتيجة لذلك فإن القيم الخاصة بالعالم الاجتماعي أو المادي لا يمكن اعتبارها غايات في حد ذاتها ولكنها وسائل لتحقيق القيمة في ذاتها أو صفات الله."[21]

إن بعض المفكرين المسلمين الاجتماعيين مثل **المعتزله وإخوان الصفا والفرابي وابن سينا وابن مسكويه والغزالي والماوردي وابن خلدون وابن تيمية والأفغاني ومحمد عبدو ومحمد إقبال** وكل حركات الإصلاح الدينية، كل هؤلاء شيدوا الكثير من انساق القيم الأخلاقية التي تحفظ للمجتمع الإسلامي هويته وتجلب للفرد السعادة القصوى في الدارين.[22]

وسعيا منهم لإقامة مجتمعا يقوم على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، اهتموا بالصفات الواجب توافرها في رئيس الدولة الإسلامية، بغرض نشر التقوى والعدل في أرجاء الدولة وأقاموا نظام الحسبة الذي لم تكن أهدافه دينية فحسب ولكنها دنيوية أيضا من خلال حرصه على الصالح العام أثناء المعاملات التجارية والاتفاقيات.

لقد قدم المفكرون الإسلاميون مدخلا شموليا، ومع التسليم بأن القيم هي بمثابة قوى اجتماعية قديمة عظيمة، فهي أيضا تشكل متغيرات مستقلة تؤدي إلى التغير الاجتماعي.

وبناء على ذلك، ليست هناك من إشكالية تتعلق بالبحث العلمي في موضوع القيم، باعتباره موضوع شرعي للبحث السوسيولوجي، مثل باقي الظواهر الاجتماعية، وأي حكم سوسيولوجي عن القيمة قد يكون موضوعا يخضع للتحقق الإمبريقي، إلا أنه قد تطرح بعض الصعوبات المنهجية المتعلقة بالبحث في موضوع القيم، وهو أنه موضوع للبحث في الكثير من التخصصات كالفلسفة والأخلاق والاقتصاد والعلوم السياسية وعلم النفس، وإذا سلمنا بأن الأمر يستوجب وجود تخصص علم اجتماع القيم، فإن هناك ثلاث نقاط يمكن التركيز عليها وهي:[23]

01 أنه من الخطأ أن يرد مفهوم القيمة إلى أحد جوانبه الثلاثة أي الثقافي أو الاجتماعي أو الفردي، فالقيم ليست تجريدات أو معايير أو حاجات، بل على العكس، القيم

مبادئ تقوم لتدعم الثقافة أو التقاليد وتحديد الإطار المرجعي للمجتمع وتشجع وتوجه الفرد في أفعاله،

02 إن من أهم المصادر الفنية للبيانات عن القيم والتغير الاجتماعي هو مجال الحركات الدينية والسوسيو-سياسية، كذلك الثورات وصناع القيم، فعن طريق خلق قيم جديدة أو تحديث القيم القديمة، فإن هذه الحركات وصناع القيم ينظمون محاولات لإحداث التغيرات النظامية الأساسية،

ج- ويمكن التوصل لاكتشاف القيم عن طريق تعميمات استنتاجيه مبنية على دراسات إحصائية، ولكن الطريق الذي قد يكون الأفضل هو فهم القيم على أنها القوى الأساسية في مجرى التغير الاجتماعي.

تعقيب:

إن موضوع القيم بالنسبة لاهتمام علماء الاجتماع كموضوع للبحث السوسيولوجي، مازال يتأرجح بين القبول والرفض، رغم أن هناك من يدعو لضرورة نشأة تخصص علم اجتماع القيم وما يحويه من مفاهيم ومناهج والنظريات المتعلقة بالنسق القيمي، كما أن هناك من علماء الاجتماع الغربيين، من اعتبر القيم متغيرا مستقلا لعمليات التحديث والتغير الاجتماعي والاقتصادي أمثال -**ماكس فيبر**- في نموذجه النظري .

ورغم ميل الكثير من علماء الاجتماع المسلمين والغربيين إلى تجنب المعالجة الصريحة لموضوع القيم، باعتبارها ذاتية غير موضوعية، إلا أن ظهور علم الاجتماع المعياري ساهم في إعطاء اهتماما متزايدا للدراسات الخاصة بالقيم، ليبقى الصراع قائما حول إمكانية الاستناد إلى العقيدة الإسلامية في تفسيرها واعتبارها المصدر الوحيد لها.

قائمة المراجع:

- اعتماد محمد علام، فاطمة يوسف القليني وآخرون، **قيم العمل الجديدة في المجتمع المصري**، ط 1، القاهرة، مكتبة أنجلو المصرية، 2007.
- جابر قميجة، **المدخل إلى القيم الإسلامية**، ط 1، القاهرة، دار الكتب الإسلامية، 1984.
- فوزية ذياب، **القيم والعادات الاجتماعية**، ط 1، مصر، مكتبة الأسرة، 2003.
- ماجد زكي الجلاد، **تعلم القيم وتعليمها، تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريس القيم**، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2005.

- محمد أحمد بيومي، **علم اجتماع القيم**، إسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1990.
- مساعدين عبد الله المحيا، **القيم في المسلسلات التلفازية، دراسة تحليلية وصفية مقارنة لعينة من المسلسلات التلفازية العربية**، دار العاصمة، الرياض، 1993.
- نورهان منير حسن فهمي، **القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية**، إسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 1999.

الهوامش:

[1]- مساعدين عبد الله المحيا، القيم في المسلسلات التلفازية، دراسة تحليلية وصفية مقارنة لعينة من المسلسلات التلفازية العربية، دار العاصمة، الرياض، 1993، ص31.

[2] - المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[3] -مساعدين عبد الله المحيا، مرجع سبق ذكره، ص 39.

[4] -المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[5] -المرجع نفسه، ص 43.

[6] - مساعدين عبد الله المحيا، مرجع سبق ذكره، ص 46.

[7] -المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[8] - محمد أحمد بيومي، علم اجتماع القيم، اسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1990، ص 89.

[9] - فوزية ذياب، القيم والعادات الاجتماعية، ط 1، مصر، مكتبة الأسرة، 2003، ص 25.

[10] - مساعدين عبد الله المحيا، مرجع سبق ذكره، ص 50.

[11] - فوزية ذياب، مرجع سبق ذكره، ص 26.

[12] - نورهان منير حسن فهمي، القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية، اسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 1999، ص 32.

[13] - المرجع نفسه، ص 26.

[14] - مساعدين عبد الله المحيا، مرجع سبق ذكره، ص ص 51-52.

[15] - مساعدين عبد الله المحيا، مرجع سبق ذكره، ص 54.

[16] - ماجد زكي الجلاد، تعلم القيم وتعليمها، تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريس القيم، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2005، ص 55.

[17] - جابر قميجة، المدخل إلى القيم الإسلامية، ط 1، القاهرة، دار الكتب الإسلامية، 1984، ص 41.

[18] - ماجد زكي الجلاد، مرجع سبق ذكره، ص 53.

[19] - ماجد زكي الجلاد، مرجع سبق ذكره، ص 53.

[20] -ماجد زكي الجلاد، مرجع سبق ذكره، ص 54.

[21] - محمد أحمد بيومي، مرجع سبق ذكره، ص ص 213- 214.

[22] - المرجع نفسه، ص 214.

[23] - محمد أحمد بيومي، مرجع سبق ذكره، ص ص 216- 217.